(٢) القضية الفلسطينية عربيا

عندما انشئت القواعد في جنوب لبنان كان الهدف من انشائها : ضرب طوق مسلح حول الارض المحتلة يبدأ من العقبة في جنوب الاردن ، وينتهي في الناقورة في جنوب لبنان . ولقد انجز ذلك الطوق سنة ١٩٦٩ . وجاء اتفاق القاهرة ليكرسه أمرا واقعا . وكان هذا الطوق يلعب دورا مزدوجا : دور قواعد الارتكاز التي تقوم بامداد الداخل بالرجال والسلاح والمال وكل ما تحتاجه ، ودور القواعد الامامية التي تقوم بالاستطلاع وترسل الدوريات المغيرة وتساهم في صد هجمات العدو وتتحمل في كثير من الاحيان زخم الهجمات كله . وكانت اهمية هذا الطوق وقوته تنبع مما يلي : طول الحدود مع الارض المحتلة ، وملاءمتها في كثير من المناطق للتسلل ونقل الامدادات ، ووجود جيوش عربية (كما في الاردن وسورية خاصة) يشكل وجودها نوعا من القوة ، وتشكل قوة ردع امام هجمات العدو الصغيرة . ولقد ساد اكتمال هذا الطوق الى ان تكون الجبهة كلها مع العدو مشتعلة . فاذا أضفنا الى ذلك ان جبهة مصر كانت مشتعلة سنة ١٩٦٩ و١٩٧٠ ، وان العدو كان مضطرا لمراقبة حدود طويلة جدا ، مختلفة التضاريس جدا كهذه الحدود ، عرفنا ما معنى ان تقف النار على الجبهة كلها .

وبدأ العدو محاولاته لتفسيخ هذه الجبهة : فكانت مناورة روجرز اولا . واستطاعت مناورة روجرز ان تنجز هدفين : ايقاف القتال على جبهة السويس الهامة ، واحداث شرخ بين مصر والمقاومة . وكان الشرخ حتميا ، لان وقف اطلاق النار المطلوب لم يكن مطلوبا على قناة السويس فقط ، كان مطلوبا للجبهة كلها . والذين جاءوا بمشروع روجرز ، اكدوا هذه الحقيقة في اتصالاتهم الرسمية مع الدول العربية المعنية . واذا كانت مصر مستعدة لقبول هدنة ، تطول او تقصر ، لانها تريد ان تزيد من استعداداتها مثلا ، فما كانت المقاومة الفلسطينية مستعدة لقبول هدنة من هذا القبيل ، لانها تفقد مبررات وجودها، ولذلك كان محتما ان يحدث الشرخ.

ودفعت القوى المعادية ، في ظل هذا الشرخ ، عملاء الاردن الى ضرب هذه الجبهة في حلقتها الوسطى القوية : الاردن . ونجحت المؤامرة .

ولقد قاد نجاحها الى ما يلي : ١ — شلل شبه عام في اجهزة الثورة الفلسطينية لمدة عام أيلول ١٩٧٠ — أيلول ١٩٧١ . ٢ — فتور في الحماسة الجماهيرية، بسبب التراجع في الاردن ، وبسبب الشلل الذي خلفته هزيمة الاردن . ٣ — تراكم قوات الثورة الفلسطينية في سورية ولبنان . ٤ — ازدياد حملات الدس والتشكيك بحركة المقاومة ، وتحرك القوى المضادة علنا ، مستفيدة من جو التراجع والهزيمة. وفي هذا الجو كانت المقاومة مضطرة ومرغمة على تقليص حجم نشاطها من سورية ولبنان ، لان زيادة نشاطها ستقود الى ردود فعل اسرائيلية وداخلية خطيرة . وكان هذا « الكسل القسري » غير مبرر جماهيريا ، كما ان العدو الصهيوني وكل القوى المضادة ارادت ان تتبع ضربتها في الاردن بضربات قاضية . واتجه رأس حربتها الى « الوجود الثوري الفلسطيني » في سورية ولبنان .

استخدمت هذه القوى أساليب مختلفة . فعلى الصعيد الاسرائيلي تابعت دولة الاحتلال خطتها المزدوجة : الهجمات المدروسة والعمل على اشعار المواطنين بأن وجود الفدائيين يجلب لهم الموت والدمار . اما الاردن فهو يحاول في دعايته ان يركز على أمرين ، اولهما : ان المنظمات الفدائية ما هي الا منظمات تخريب ، تمج بالمدسوسين واللصوص والمرتزقة ، وتمثل خروجا على القانون والنظام . ثانيهما : انها أعجز من ان تحقق انتصارا واحدا على طريق العودة ، وهي بالتالي مجرد مبرر لمزيد من الاحتلال . وتدور الدعاية اللبنانية المضادة ضمن هذا الاطار .

ولقد حاولت « الانظمة العربية » ومنذ أيلول سنة ١٩٧٠ ان تخضع « العمل الفدائي » وان تحتويه نهائيا ، فالسياسة الدموية التي اتبعت في الاردن سياسة خطرة باهظة التكاليف ماديا ومعنويا . وهي تكون ضرورية عندما تفشل سياسة الاحتواء . اما اذا كان الاحتواء ممكنا فهو الحل الافضل . ومن أيلول والمحاولات جارية . ما تبغيه هذه السياسة هو تحويل « بقايا المقاومة » الى جزء من الانظمة عمليا ، ينفذ سياستها باسم الشعب الفلسطيني وباسم المقاومة والتحرير . وهذا يعني ان تتحول « بقايا المقاومة » الى اداة قمع ضد الشعب